تنمية الوازع الذاتي
في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فلقد نجح الإسلام نجاحاً منقطع النظير في سيطرته على القلوب ، وتوجيه سلوك الناس وتصرفاتهم توجيها مثالياً غير مسبوق ، ذلك لأن الشرائع والقوانين الوضعية عجزت عن دفع الناس إلى التوافق مع القانون طواعية على الرغم من قوة هذه القوانين بحكم القوة والهالة التي ترافقها ، فيعمل الناس على الاحتيال عليها ونقضها ، مما يستدعي تطوير هذه القوانين بين الحين والآخر لتلافي الخلل الحاصل .

والقرآن الكريم ربى ويربي النفس الإنسانية تربية طواعية على الفضيلة ، وصدق الإيمان ، وتحريك الوازع وتنميته ، وإحياء الضمير ، فلم يعتمد على الأساليب القسرية اعتماداً كلياً إلا في حدود يراعي فيها المصلحة العامة ، وأن الأجهزة القضائية التنفيذية وسائل مساعدة في درع المعتدين .

وهذا البحث الذي حمل عنوان (**تنمية الوازع الذاتي في القرآن الكريم**) يسلط الضوء على المنهج القرآني في تربية الوازع الذاتي عند الأفراد والجماعات ، ولصعوبة حصر الآيات جميعاً في بحث وجيز مثل هذا ، لذا اقتصرت على دراسة بعض الآيات ، تنبيهاً على إمكانية قيام دراسة موسعة موضوعية في هذا الخصوص تتناول آيات القرآن الكريم جميعها .

وقد قسمت هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الوازع في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : الوازع الطبعي في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : تنمية الوازع الشرعي في القرآن الكريم .

وختمت بحثي بخاتمة بينت فيها أهم ما جاء فيه .

سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يتقبله منا إنه سميع مجيب الدعاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المبحث الأول

تعريف الوازع

أولاً . الوازع في اللغة :

قال ابن فارس : " الواو والزاي والعين : بناءٌ موضوعٌ على غير قياس ، ووَزَعْته عن الأمر : كففْته . قال الله ﴿ **فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾(1) ، أي يحبَس أوّلُهم على آخِرهم . وجمع الوازع وَزَعَة . وفي بعض الكلام : ما يَزَعُ السُّلطانُ أكثَرُ مِمَّا يَزَعُ القرآن ، أي : إنَّ النَّاسَ للسُّلطان أخْوَف ... ويقال : أوْزَعَ اللهُ فلاناً الشُّكرَ : ألْهَمَه إياه . ويقال : هو من أُوزِعَ بالشَّيءِ إذا أُولِعَ به ، كأنَّ الله تعالى يُولِعُه بشُكْرِه . وبها أوزاعُ من النّاس ، أي : جماعات "(2) .

وقال أبو عبيد : " والوَزَعَة : جماعة الوازع . والوازع : الذي يكفّ الناس ويمنعهم من الشر ، يقال منه : وزعته فأنا أزعه وزعاً "(3) .

وقال الجوهري : " وزعته أزعه وزعا : كففته ، فاتزع هو ، أي : كف . وأوزعته بالشيء : أغريته به ، فأوزع به ، فهو موزع به ، أي : مغرى به . واستوزعت الله شكره فأوزعني ، أي : استلهمته فألهمني . والوازع : الذى يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر .وقال الحسن : لا بدّ للناس من وازع ، أي : من سلطان يكفهم . يقال : وزعت الجيش ، إذا حبست أولهم على آخرهم . وإنما سموا الكلب وازعاً ؛ لأنه يكف الذئب عن الغنم . والتوزيع : القسمة والتفريق . ويقال : توزعوه فيما بينهم ، أي تقسموه . والمتزع : الشديد النفس "(4) .

---

(1) سورة النمل : من الآية 17 .

(2) مُعْجَم مَقَايِيس اللُّغَة ، لأبي الْحَسَن أَحْمَد بن فارس بن زكريا ، (ت 395 هـ) ، تحقيق : عَبْد السلام هارون ، دَار الفكر ، بَيْرُوْت ، 1399هـ . 1979م : مادة (وزع) 6/ 106 .

(3) غَرِيب الْحَدِيث ، لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّمٍ الهروي ، (ت 224 هـ) ، تحقيق : د . مُحَمَّد عَبْد المعيد خان ، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ط1 ، 1396 هـ : 228/3 .

(4) الصِّحَاح تَاج اللُّغَة وصحاح العَرَبِيّة ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، (ت 393هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد الغَفُوْر عطا ، دَار العلم للملايين ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط 2 ، 1407 هـ . 1987م : مادة (وزع) 1297/2 .

وقال ابن منظور : " الوَزْعُ : كَفُّ النفْسِ عن هَواها وزَعَه وبه يَزَعُ ، ويَزِعُ وزْعاً : كفَّه فاتَّزَعَ هو ، أَي : كَفَّ ، وكذلك ورِعْتُه "[1] .

ولا تخرج تعريفات اللغويين الأخرى عن هذه المعاني ، ويتبين من هذا أن معاني الوزع تتحصر في ما يأتي :

الكف والحبس .

التفريق والتقسيم .

الإلهام .

الولع .

الجماعة .

فالوازع : هو الكاف ، أو الزاجر ، أو المانع .

ثانياً . الوازع في الاصطلاح :

لم يعرّف العلماء الوازع تعريفاً اصطلاحياً ، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عندهم عن المعنى اللغوي .

وعلى هذا يمكن تعريف الوازع بما نقل عن الليث : بأنه " كفّ النفس عن هواها "[2] .

وقد ودرت هذه اللفظة في القرآن الكريم في خمسة مواضع ثلاث منها في سورة النمل هي :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

---

(1) لِسَان العَرَب ، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت 711هـ) ، دَار صادر ، بَيْرُوْت ، لُبْنَان ، ط1 ، 1968م : مادة (وزع) 390/8.

(2) تَهْذِيب اللُّغَة ، لأبي منصور مُحَمَّد بن أَحْمَد الأزهري ، (ت 370 هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد العليم البردوني ، مراجعة : علي مُحَمَّد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، مصر ، بلا تاريخ : 3/ 99 .

يُوزَعُونَ ﴾(1) .

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾(2) .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾(3) .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾(4) .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(5) .

وما تجدر الإشارة إليه أن العز بن عبد السلام قسّم الوازع على قسمين ، هما :

الوازع الطبعي .

والوازع الشرعي .

فالوازع الشرعي ، هو كف النفس عن المحظورات ابتاعاً للشرع ، أما الوازع الطبعي ، فهو أن يكون سبب الكف طبع الإنسان نفسه ، مثل كفّ الأم الشر عن ابنها ، أو أن يكف الإنسان الشيء عن نفسه دفعاً لضرره .

---

(1) سورة النمل : الآية 17 .

(2) سورة النمل : الآية 19 .

(3) سورة النمل : الآية 83 .

(4) سورة فصلت : الآية 19 .

(5) سورة الأحقاف : الآية 15 .

ويقرر العز بن عبد السلام أن الوازع الطبعي أقوى من الوازع الشرعي[1] .

ومن المعلوم أن الوازع الطبعي أعمّ وأوسع من الوازع الشرعي من حيث الكمّ والعدد ، لاشتراك جميع الناس فيه على خلاف الوازع الشرعي الذي يختص به من يطبق الأحكام الشرعية أو من تنطبق عليه .

ومن ناحية أخرى ، فمدى الوازع الشرعي أعمّ من مدى الوازع الطبعي ؛ لأنه يشمل الوازع الطبعي وأمور أخرى هي مباحة على أصل الطبع ، ولكن جاء الشرع ليقيدها ، فالطبع لا يمنع من أكل أو شرب بعض المحرمات ، ولكن الشرع قيدها بالمنع ، مثل الميتة ، ولحم الخنزير والخمر .

المبحث الثاني

الوازع الطبعي في القرآن

بين القرآن الكريم أن الوازع قد يكون طبعياً ، أو فطرياً ، قال تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[2] ، وهذا تصوير لقابلية طبع الإنسان للتوجيه نحو خطين متضادين : التقوى والفجور ، وما يترتب عليهما من نتائج ، وفي هذه الآية تصريح على قابلية الوازع الطبعي على تقبل الخير والتسامي

---

(1) ينظر : قَوَاعِد الأَحْكَام فِي مصالح الأنام . لأبي مُحَمَّد عز الدين عَبْد الْعَزِيز بن عَبْد السلام السُّلَمِيّ ، (ت 660هـ) ، دَار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ : 2 / 119 .

(2) سورة الشمس : الآيات 7 . 10 .

إليه ، وهو ما عبر عنه تعالى بقوله : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** ﴾ ، وهو دلالة على قدرة الإنسان على توجيه طباعه توجيهاً نافعاً لنفسه وللآخرين ، والمراد بالتزكية ، أي : من أصلح نفسه بطاعة الله تعالى ، وطهرها من الكفر ، والمعاصي ، والأخلاق الدنيئة ، والرذائل ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى** ﴾(1) . وهذا على خلافه قوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ ، فللدسّ يعني الخسران وخيبة النفس ، وعدم طلبه ، والتماسه لها من الصلاح من دساها ، يعني : من دس نفسه فأهملها ووضع بخذلاته إياها من الهوى ، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله(2) .

وفي هذا السياق أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة في قوله تعالى :
﴿ **لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾(3) .

وهذه النفس على الراجح الصحيح من الأقوال : هي التي تلوم نفسها على ما فات وتندم على الشر لم فعلته ، وعلى الخير لمَ لمْ تستكثر منه ، فهي لم تزل لائمة ، وإن اجتهدت في الطاعات ، فالمبالغة في الكيف باعتبار الدوام(4) .

---

(1) سورة الأعلى : الآية 14 .

(2) ينظر : جَامِع الْبَيَان عن تأويل آي الْقُرْآن المعروف بـ(تَفْسِيْر الطَّبَري) ، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يزَيْد بن خالد الطَّبَري ، (ت 310هـ) ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، 1405هـ 30 / 135 ، و تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم المسمى بـ(تَفْسِيْر ابن كَثِير) ، لأبي الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عُمَر كَثِير القُرَشي الدَّمَشْقي ، (ت 774هـ) ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، 1401هـ : 516/4 ، و الدُّر المَنْثُور ، لعَبْد الرَّحْمَن بن الكمال جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطي ، (ت 911هـ) ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، 1993م : 531/8.

(3) سورة القيامة : الآيتان 1 . 2 .

(4) ينظر : جامع البيان : 29/ 174، و مَعَالِم التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر البغوي) ، لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، (ت 516هـ) ، تحقيق : خالد العك ، ومروان سوار ، دَار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، ط2 ، 1407 هـ . 1987م : 6/ 181، والْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبد الله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي ، (ت 671 هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد العليم البردوني ، دَار الشعب القاهرة ، ط 2 ، 1372 هـ : 10/

أو هي النفس المتقية التي تلوم النفوس يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى والمبالغة بكثرة المفعول(1) .

ويتمثل الوازع الطبعي في فعل الخصال الحميدة المتعارف عليها ، وانعدامه في ارتكاب بعض المحظورات التي يأنف منها الطبع السليم ، من ذلك سلوك بعض أهل الكتاب الذين خانوا الأمانة ، وامتهنوا الكذب ، يقول تعالى : ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾(2)

ويقول سبحانه : ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾(3) .

فهاتان الآيتان صورّتا فعلاً حسناً ، وفعلاً مستقبحاً بكل المقاييس ، الدينية والوضعية ، فالقنطار والدينار معلومان من اللفظ بمجرد النطق به وحكمهما هو الأداء عند الائتمان .

---

70 ، والْبَحْر الْمُحِيط ، لأبي عبد الله أَثِيْر الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي بن يوسُف بن حَيَّان الأَنْدَلُسِي ، الشهير بابن حَيَّان وبأَبي حَيَّان ، (ت 754هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1329هـ : 8/ 384 ، و اللُبَابُ فِي عُلُومِ الكِتَابِ ، لأبي حفص عُمَر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، (ت 880 هـ) ، تحقيق وتعليق : عادل أَحْمَد عَبْد الموجود ، وعلي مُحَمَّد معوض ، شارك فِي تحقيقه : د . مُحَمَّد سعد رمضان حسن ، ود . مُحَمَّد المتولي الدُّسُوقي الحرب ، منشورات مُحَمَّد علي ، دَار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ، ط1 ، 1419هـ . 1998م : 19/ 545 ، والدر المنثور : 7/ 343 .

(1) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، (ت 538 هـ) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1 ، 1418هـ . 1998م : 4/ 659 .

(2) سورة آل عمران : الآية 75 .

(3) سورة آل عمران : الآية 78 .

فتأويل الكلام : " ومن أهل الكتاب الذي إنْ تأمنه ، على عظيم من المال كثير ، يؤدِّه إليك ولا يخنْك فيه ، ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنْك فيه فلا يؤدِّه إليك ، إلاّ أن تلح عليه بالتقاضي والمطالبة "(1) .

فسلوك بعض أهل الكتاب يعبر حقيقة عن انعدام الوازع الطبعي ، إذ يفعلون ما يحلو لهم في ظل غياب الرقيب من البشر ، أو أمن العقوبة والضرر ، فينسبون الكذب إلى الله تعالى ، ويخونون الأمانة ، على الضد ممن كان الوازع الطبعي باعثاً له على فعل المحمودات .

وقد يسلك الإنسان طريقاً بحكم المواكبة والتقليد يظنه صواباً ، أو لا يعتقد وجود طريقاً خيراً منه ، ولكنه إن صدمته الحقيقة عاد إلى رشده وتحكم فيه الوازع الطبعي ، فينهاه عن التوغل في الغي .

إن الوازع الطبعي فضلاً عن هدايته الإنسان إلى فضائل الأعمال ، فهو يهديه أيضاً للإقرار بوجود يوم الحساب ، ففي قوله تعالى : ﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾(2) .

فهذه الآيات نددت بسلوك مخالف للوازع الطبعي ، والمتمثل بالتطفيف في الكيل والميزان .

وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم(3) .

ومن ذلك ما جاء في قصة إبراهيم الخليل . عَلَيْهِ السَّلام . حين حطم أصنامهم ، وعلّق فاسه في رقبة كبيرهم ، ﴿ **قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا**

---

(1) جامع البيان : 318/3 .

(2) سورة المطففين : الآيات 1 . 3 .

(3) ينظر : التسهيل لعلوم التَّنْزِيل ، لمُحَمَّد بن أَحْمَد بن جُزَي الكَلْبي الغَرْنَاطي المالِكي ، (ت 741هـ) تحقيق : مُحَمَّد عبد المنعم اليونسي ، وإبراهيم عطوة عوض ، مطبعة حسان ، القاهرة ، بلا تاريخ : 294/3 .

إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾(1) ، وقوله : ﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ** ﴾ ، أي : فتفكروا وتدبروا وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ، ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره ، أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبوداً(2) ؟

وهذه النتيجة هي التي يهدي إليها الوازع الطبعي ، والفطرة السليمة ، ولكن بعض الناس تبعاً لغيره ، أو تأثراً بالمنافع الدنيوية يسدر في غيه ، فيعاند ويكابر ، كما هو الحال مع قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام . إذ خالفوا الفطرة ، والمنطق السليم ، والوازع الطبعي ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾(3) .

وفي هذا السياق ، سياق المكابرة ، ومجابنة الحق ، والعدول عن الفطرة والوازع الطبعي السليم يأتي قوله تعالى ناعياً على هؤلاء : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾(4) ، فقوله : ﴿ **أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ** ﴾ ، أي : حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي نهى عنه

---

(1) سورة الأنبياء : الآيات 62 . 64 .

(2) ينظر : إِرْشَاد الْعَقْلِ السَّلِيمِ إلى مزايا الْقُرْآن الكريم . لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي ، (ت 982هـ) ، دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ : 26/5 ، و رُوح المَعَانِي فِي تَفْسِيْر الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الثَّنَاء شِهاب الدِّين السيد محمود بن عبد الله الآلُوسي البَغْدَادي ، (1270هـ) ، دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ : 66/17 .

(3) سورة الأنبياء : الآية 68 .

(4) سورة البقرة : الآيات 204 . 206 .

لجاجاً وعناداً(1) .

ولا يقتصر الوازع الطبعي السليم على فضائل الخصال ، بل أنّه يهدي إلى الإيمان بالله تعالى ، والإقرار بوحدانيته ، يقول تعالى : ﴿ **أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾(2) .

إن الوازع الطبعي السليم يدعو الإنسان أي إنسان إلى معرفة علة الأشياء ومسببها ، فالإنسان أول ما يلاحظ نفسه وما فيها من عجائب تكوينه ، وهذا التساؤل عن سرّ هذا الخلق العظيم المكنون بين الجوانح داعٍ لذوي الفطرة السليمة للتوصل إلى وجود خالق مقتدر ، ومن هذا الاستدلال على وجود الله تَعَالَى بالتفكر بالمخلوقات ذات الصلة بالإنسان ، والتي يعاينها صباح مساء ، أو كل حين .

وإنما أنزلت هذه الآيات على وجه التنبيه ، والاستدلال بالمخلوقات على كمال قدرته سبحانه ، فالقومُ كانوا أصحابَ البوادي لا يرون شيئاً إلا السماءَ والأرضَ والجبالَ والجِمالَ ، فأَمَرهم بالنظر في هذه الأشياء . وفي الإبل خصائص تدلّ على كمال قدرته وإنعامه جل شأنه ؛ منها : ما في إمكانهم من الانتفاع بظهورها للحَمْلِ والركوب ، ثم بنَسْلِها ، ثم بلحمها ولبنها ووَبَرِها ، ثم من سهولة تسخيرها لهم ، حتى ليستطيع الصبيُّ أنْ يأخذَ بزِمامها ، فتنجرّ وراءه . والإبل تصبر على مقاساة العَطَش في الأسفار الطويلة ، وهي تَقْوَى على أن تحمِلَ فوق ظهورها الكثير من الحَمولات ، ثم حِرَانُها إذا حقدت ، واسترواحُها إلى صوتِ مَنْ يحدوها عند الإعياء

---

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 3 /19–20 ، وأَنْوَار التَّنْزِيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تَفْسِيْر البَيْضَاوي) ، لأبي سعيد ناصر الدِّين عبد الله بن عُمَر بن مُحَمَّد الشِّيْرَازي البَيْضَاوِي الشَّافِعِيّ ، (ت 685هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، 1416هـ. 1996م : 491/1 ، وإرشاد العقل السليم : 211/1 .

(2) سورة الغاشية : الآيات 17 . 20 .

والتعب ، ثم ما يُعَلِّل المرءُ بما يناط بها من بِرِّها(1) .

وهذا التعليل للتفكر في الإبل وغيرها ليس فيه قسر أو التكليف بما لا يطاق ، فهو يتوافق مع الوازع الطبعي للعربي البسيط في البادية ، ولا يحتاج إلى كثير تأمل وتدبر .

ويؤيد هذا ما جاء في الأثر أن راعياً كان يسير في الصحراء فرأى بَعْراً في الطريق ، فقال : إذا كان البعر يدلّ على البعير ، والسير يدلّ على المسير ، أفلا يدلّ كل هذا الكون على وجود اللطيف الخبير(2) ؟

والوازع الطبعي يهدي الإنسان إلى الإقرار بيوم الحساب ، قال تعالى : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ** ﴾(3) ، فلا يمكن أن يكون هذا الخالق صنماً يصنعه الإنسان بيديه ، أو يكون شيئاً من الأفلاك والنجوم ، أو الأشخاص ، أو المظاهر الطبيعية وغيرها ؛ لأنّ كل أُولئك محدود وموجود ومخلوق وناقص ، ولأن من الأُمور الفطرية التي فطِر الناس عليها هو النفور من النقص ، والاتجاه نحو الكمال ، لذلك فإنّ الإنسان ينفر من كلّ نقص وعيب .

وهذه الآية تنفي أن يكون خلق الخلق لعباً وباطلاً لا لحكمة ، وهي تنكر على الكافرين إنكارهم ليوم الحساب(4) .

---

(1) لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي ، (ت 465 هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط1 ، 1420هـ . 2000م : 72/8 .

(2) ينظر : مَفَاتِيح الْغَيْب المعروف بـ(التَفْسِيْر الكَبِيْر) ، وبـ(تَفْسِيْر الرازي) ، لأبي عَبْد اللَّه فَخْرالدِّين مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِيّ الْمَذْهَب الرَّازي ، (ت 606هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1421هـ . 2000م : 91/2 .

(3) سورة المؤمنون : الآية 115 .

(4) ينظر : لُبَاب التَّأْوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر الخازن) ، لعلاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن ، (ت 741 هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1955م : 477/4 .

إن الوازع الطبعي يجيز للسيد أن يحاسب عبده إن أخطأ ، وللوالد أن يحاسب ولده ، وللرئيس أن يحاسب مرؤوسه ، وهكذا ، فلم لا يجوز للخالق أن يحاسب عبده ، والمشركون مقرون بوجود الخالق ، ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾(1) ؟

هذا خلاف الوازع الطبعي ، وخلاف المنطق السليم .

من هذه الشواهد القرآنية يتبين أن الوازع الطبعي السليم محمود يؤدي بصاحبه إلى سبيل الفلاح ، وأن مجانبته تؤدي بصاحبه إلى سبل الهلاك .

المبحث الثالث

الوازع الشرعي في القرآن

خلق الإنسان وخلقت معه الشهوات ، والإنسان تتنازعه قوتان إحداهما روحية تتطلع به إلى تشوف المثل العليا والترقي إلى مصاف الملأ الأعلى ، وقوة جسدية لها أشواقها في عالم الغريزة ، وميولها إلى أصل النشأة وتلبية الحاجات الفطرية ، وتكامل الإنسان ليس بنزع الشهوات منه ، بل بالتوفيق بين القوتين ، والمزاوجة بينهما .

إن النهج القرآني بتنمية الوازع الديني خلق حالة غير مألوفة في المجتمع المسلم ، استولى فيه العقل على الشهوات ، وسيطرت الدوافع الخيرة على النزوات ، فهو لم يلغِ الغرائز والشهوات ؛ لأن في إلغائها طمس لملامح الشخصية الإنسانية ، بل سخّرها لخدمة هذه الشخصية بصيغة تفاعلية تكاملية ، ولم يخنق هذه الغرائز بل أطلق لها العنان مقيدة بضوابط

---

(1) سورة العنكبوت : من الآية 61 .

أخلاقية جديدة ؛ لأن خنقها وكبتها يؤدي إلى ردود فعل عكسية ، منها فقدان الثقة بالنفس ، والانطواء ، وغيرهما .

ونظراً لسعة الموضوع ، وكثرة شواهده ، ارتأيت الاقتصار على ما يتعلق بالجانب المالي لأهميته في حياة الفرد والمجتمع .

من الشواهد على تربية الوازع الشرعي لدى الإنسان ، وتوجيه القرآن للغرائز ، قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾(1) ، فهي تقرر أنَّ النفس البشرية تحبُّ المال حباً جماً ، ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾(2) ، فهو سبحانه جعل في طبيعة الإنسان هذه الغريزة المتأصلة ، وهي حبه للمال ، وهذا الحب ليس سيئاً على الدوام ، بل هو ضروري كي يصبر الإنسان على تحصيل المال ، وسهر الليالي بالعمل ؛ لأن العمل تكليف عبادي شرعي ، ولكي ينفذ وظائف الخلافة ، مع الثقة بالنفس ، والاعتزاز بالكرامة .

وفي هذا النص مذمة حب المال ، وهو جبلة في الإنسان إلاّ من هذبه الإسلام ، إلا أن الذم ينصب على شدة الحب التي تحمل صاحبها على ضياع الحقوق ، أو تعدي الحدود(3) .

وقد دبّت الخصومة بين قابيل وهابيل بشأن مسألة زواج ، أيّهما يتزوج الجميلة ؟ وأيهما يتزوج الدميمة ؟ فاتفقا على أن يقدم كل منهما قرباناً ، فأكلت النار قربان هابيل ، وتلك علامة القبول فتمادى الطرف الآخر في خصومته ، ونقلها من الإطار المعنوي إلى الإطار الحسي المادي المتمثل بالقتل ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا**

---

(1) سورة العاديات : الآية 8 .

(2) سورة الفجر : الآيتان 19 . 20.

(3) ينظر : أضواء الْبَيَان فِي إيضاح الْقُرْآن بالْقُرْآن ، لمُحَمَّد الأمين مُحَمَّد المُخْتَار الجكني الشنقيطي ، (ت 1393 هـ) ، عالم الكتب ، بَيْرُوْت ، ط1 ، بلا تاريخ : 66/9 .

وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(1) .

والشواهد كثيرة جداً ، وهذا يقتضي الانتقال السريع إلى التوجيه القرآني لهذا الوازع ، يقول تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾(2) .

ففي هذه الآية بيان لأنواع مختلفة من المطامع الإنسانية والرغبات البشرية ، وهي تعبر عن حقيقة الإنسان أصدق تعبير ، فالرغبة في التملك والاستحواذ تهيمن عليه منذ نعومة أظفاره ، فالطفل الصغير يحب تملك كل ما من حوله ، يودّ تملك أبويه ويكره أن يراهما يؤثران غيره بالحبّ ، يود امتلاك كل ما لاح أمامه وتحرك ، ومنهم من يمسكه ، ومنهم من يتسرب الملل إليه فيتركه ، ويشب الإنسان وتشب رغبة الاستحواذ معه ، وتزداد شدة وضراوة ، وتنوعاً وتوسعاً .

وخصّ هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها ، فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات ، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم ، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:

القسم الأول : جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي: وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب.

والقسم الثاني : عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاءً وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة

---

(1) سورة المائدة : الآية 27 . وينظر : أضواء الْبَيَان : 246/7 .

(2) سورة آل عمران : الآية 14 .

لهم وطريقاً يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها ﴿ **ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ** ﴾ فجعلوها معبراً إلى الدار الآخرة، ومتجراً يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زاداً إلى ربهم.

وفي هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترين بها وتزهيد لأهل العقول النيرة بها، وتمام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلكم المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قذر ودنس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾(1) ، أي : عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء . فالجنة التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضاً المستحقين لها وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾(2) .

---

(1) سورة آل عمران : الآية 15 .

(2) سورة آل عمران : الآيتان 16 . 17 . وينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ، (ت 1376 هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، 1425 هـ . 2004م : 123/1 .

وما يلاحظ هنا أن القرآن الكريم تعامل مع رغبات الإنسان بوصفها حقيقة ثابتة لم ينكرها ولم يرفضها ، بل عرض صورتين إحداهما صورة المتهالك على الشهوات ، وصورة من يتعامل معها بعقلانية وجعلها وسيلة لمرضاة الربّ ، هكذا هو الأمر ببساطة تنمية للوازع الديني لا قسر فيه ولا ترهيب ، وسرّ القوة فيه ثقة المؤمن بوعد ربه .

ولأن تعلق بعض الناس بالمال شديد ، قد لا تهذّبه المواعظ ، نمّى القرآن الكريم هذا الوازع بتنظيم العلاقة ، وذلك بالإشباع المنظم بما أباحه الله تعالى للإنسان من حق التملك ، وتشجيعه على العمل المنتج المباح ، ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾(1) ، ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(2) .

وصان هذه الملكية وحماها من الاعتداءات والتجاوزات ، وحرّم هذا لمنع ذوي النفوس الضعيفة من الانجراف وراء شهواتهم ، ملوحاً بالعقوبة الأخروية ، ﴿ **وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾(3) ، أو مصرحاً بها ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾(4) .

وغير ذلك من آيات حرّمت البغي على حقوق الآخرين وظلمهم ، كما حرّم الرشوة ، والاحتكار ، والربا ، والغبن ، والسرقة ، واستخدام ممتلكات الآخرين ، وغير ذلك .

---

(1) سورة الملك : الآية 15 .

(2) سورة الجمعة : الآية 10 .

(3) سورة البقرة : الآية 188 .

(4) سورة النساء : الآية 10 .

إن المسلم يعي جيداً أن هذا التحذير حقّ ، وهو ليس من قبيل التهديدات التي يطلقها الناس أو الحكام ، فهذه التهديدات تكتسب قيمتها بإثبات الجرم أو الذنب ، فإن أَمِن بعضهم العقوبة ، أو أَمِن انعدام الرقيب فعل ما يحلو له .

وهو يعلم جيداً أن أجهزة الرقابة الإسلامية لا فكاك منها ، ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾(1) ، ولا ينفع معها التخفي ولا التستر ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾(2) ، لذا فهو أمام خيارين لا ثالث لهما : إما الطاعة ، وإما المعصية .

وبتنظيمه الدقيق للتعامل المالي سدّ القرآن كثيراً من أبواب الذرائع ممهداً بذلك للوازع الشرعي أن يسلك المناحي السليمة التي تجنبه الضرر وتحسم عوامل النزاع ، وتقطع أسباب الخلاف ، وعلى سبيل الاستشهاد : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ﴾(3) الآية.

ومن ناحية أخرى فالرغبة في التملك والاستحواذ ، مع النجاح في العمل ، أو بتوافر بعض الفرص قد تؤدي إلى تجمع الثروة بأيد فئات من الناس ، وهذا ما يؤدي غالباً إلى إلحاق الضرر بالآخرين ؛ فضلاً عن أن حيازة الأموال قوة مؤثرة في المجتمع قد يساء استخدامها ، وأ وجب تداول المال بين أفراد الرعية ومنع حصر تداوله بين فئة من الناس ؛ فيغلب الأغنياء الفقراء(4) .

ومن الوسائل الدقيقة التي أدت إلى تنمية الوازع الشرعي عند

---

(1) سورة ق : الآية 16 .

(2) سورة الحديد : من الآية 4 .

(3) سورة البقرة : من الآية 282 .

(4) ينظر : النظام الاقتصادي في الإسلام ، لتقي الدين النبهاني ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط6 ، 1425هـ. 2004م : 248 .

المسلمين تنظيم المواريث ، إذ نظمها القرآن الكريم بأسلوب علمي دقيق ضمن الحقوق ، وبين القرآن الكريم بأسلوب الترغيب أن هذه القسمة هي الحق وإن ظن هذا الطرف أو ذاك خلافها ﴿ **لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾(1) ؛ لأنه عند حكم الهوى يفقد العقل تقديره وميزانه فلا يدرى أين يكون النفع(2) .

ثم حذّر من مغبة التعدي على هذه الموارايث ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾(3) ، وهذه العقوبات الأخروية كفيلة بردع النفوس المؤمنة ، أي : أن الميراث حدٌّ رسمه الله تعالى ، فمن أطاع الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإن ذكر الجنات في هذا المقام له موضعه ؛ لأن هذا الذي يترك التوزيع لله تعالى ، ويتغلب على هوى نفسه فيمن يحب أو يكره يجزيه الله تعالى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وهذا الجزاء هو الفوز العظيم ؛ لأن فيه النجاة وفيه النعيم ، فمن فعله فقد نال الحسنيين ، ومن يخالف حكم الله وخصوصاً في الميراث ، فهو عاص لله سبحانه ، وقد تعدى ما رسمه الله من حدود في ماله. وإن جزاءه أن يدخل النار ويخلد فيها(4) .

ولا يغيب عن بال أحدٍ أهمية الزكاة والصدقة في تنمية الوزاع الشرعي عند المسلم ، وأثرهما في تنظيم المعادلة الاقتصادية في المجتمع وإن كانت الزكاة ملزمة في أحوال معينة ، إلا أن الصدقة طوعية تماماً يبادر إليها المسلم من دون ضغوط أو رقيب ، ينتزع من رزقه وكسبه ليهبه

---

(1) سورة النساء : من الآية 11 .

(2) ينظر : زهرة التفاسير ، لمحمد أبي زهرة ، (ت 1394 هـ) ، دار الفكر العربي ، 1974م : 1604/3 .

(3) سورة النساء : الآيتان 13 . 14 .

(4) ينظر : زهرة التفاسير : 1605/3 .

لغيره عن طيب خاطر لا يبتغي بذلك إلا مرضاة الربّ ، وإن كان هذا الفعل متحقق في أديان أخرى ، فلوازع طبعي ، أو لأغراض دنيوية يبتغي منها صاحبها منفعة دنيوية عاجلة ، وقد تتأتى مثل هذه الدوافع عند بعض المسلمين من قبيل الرياء والسمعة .

ويحثّ المسلم على طريق الخير والإنفاق آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾(1) ، وفي الآية بيانُ شرفِ النفقة في سبيلِ اللَّه ، وتحسينها ، وضمنها التحريض على ذلك ، وهذه الآيةُ في نفقة التطوُّع ، وسبلُ اللَّهِ كثيرةٌ ، وهي جميعُ ما هو طاعةٌ ، وعائدٌ بمنفعةٍ على المسلمين ، وعلى الملَّة وأشهرها وأعظمها غَنَاءُ الجهَاد؛ لتكون كَلمةُ اللَّه هي العليا(2) .

وكذا قوله تعالى ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾(3) ، وفيها ندب بليغ من الله تعالى إلى الإنفاق في سبيله والتوبيخ على تركه ، والقرض الحسن الإنفاق بالإخلاص، وتحري أكرم المال وأفضل الجهات ، وهذا الحثّ يناشد وازع الإنسان من غير إلزام ولا ترهيب(4) .

ومن ثمرات هذه التربية القرآنية للوازع الشرعي في المسلم ما تحقق من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وقد عبر عنها القرآن الكريم في

---

(1) سورة البقرة : الآية 261 .

(2) ينظر : الجَوَاهِر الحِسَان فِي تَفْسِيْر الْقُرْآن ، لعبدالرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي ، (ت 608هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ : 161/1 .

(3) سورة البقرة : من الآية 245 .

(4) ينظر : إرشاد العقل السليم : 8/ 206 ، وعناية القاضي وكِفَايَة الراضي ، حَاشِيَة الشِّهَاب الخفاجي عَلَى تَفْسِيْر البيضاوي ، لشهاب الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر الخفاجي ، (ت 1069هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1283هـ : 8 / 156 .

قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(1) ، فللمال المحبوب يختلف باختلاف أحوال المتصدّقين ، ورغباتهم ، وسعة ثرواتهم ، والإنفاقُ منه ، أي : التّصدق دليل على سخاءٍ لوجه الله تعالى ، وفي ذلك تزكية للنّفس من بقية ما فيها من الشحّ ، وفي ذلك صلاح عظيم للأمّة إذ تجود أغنيَاؤها على فقرائها بما تطمح إليه نفوسهم من نفائس الأموال فتشتدّ بذلك أواصر الأخوّة ، ويهنأ عيش الجميع(2) .

---

(1) سورة الحشر : الآية 9 .

(2) ينظر : التَحْرِير والتَنْوِير ، لمُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور ، (ت 1393 هـ) ، الدار التونسية للنشر ، 1984م : 3/ 152 . 155 .

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لبعض الشواهد القرآنية أوجز أهم نتائجه بما يأتي :

1. إن الوازع هو المانع ، ويراد به كفّ النفس عن هواها .
2. إن الوازع الطبعي أعمّ وأوسع من الوازع الشرعي من حيث الكمّ والعدد ، إلا أن مدى الوازع الشرعي أعمّ من مدى الوازع الطبعي
3. بينت الشواهد القرآنية ال حرص على تنمية الوازع الطبعي المتمثل في فعل الخصال الحميدة المتعارف عليها . وأنه لا يقتصر الوازع الطبعي السليم على فضائل الخصال ، بل أنّه يهدي إلى الإيمان بالله تعالى ، والإقرار بوحدانيته ،
4. وبينت هذه الشواهد أثر القرآن الكريم في تنمية الوازع الشرعي في الجانب المالي الذي تم اختياره للدراسة ، وأن القرآن بثّ في نفوس المسلمين وازع فعل الخيرات
5. بين البحث إمكانية التوسع في دراسات مستقبلية تتناول كلاً من الوازع الطبعي والوازع الشرعي ، وهذا ما يوصي الباحث به .

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

1. إِرْشَاد الْعَقْلِ السَّلِيمِ إلى مزايا الْقُرْآن الكريم . لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي ، (ت 982هـ) ، دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .
2. أضواء الْبَيَان فِي إيضاح الْقُرْآن بالْقُرْآن ، لمُحَمَّد الأمين مُحَمَّد المُخْتَار الجكني الشنقيطي ، (ت 1393 هـ) ، عالم الكتب ، بَيْرُوْت ، ط 1 ، بلا تاريخ .
3. أَنْوَار التَّنْزِيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تَفْسِيْر البَيُضَاوي) ، لأبي سعيد ناصر الدِّين عبد الله بن عُمَر بن مُحَمَّد الشِّيْرَازي البَيُضَاوِي الشَّافِعِيّ (ت 685هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، 1416هـ . 1996م .
4. الْبَحْر الْمُحِيط ، لأبي عبد الله أَثِيْر الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي بن يوسُف بن حَيَّان الأَنْدَلُسِي ، الشهير بابن حَيَّان وبأَبي حَيَّان (ت 754هـ) مطبعة السعادة ، مصر ، 1329هـ .
5. التَحْرِير والتَنْوِير ، لمُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور ، (ت 1393 هـ) ، الدار التونسية للنشر ، 1984م .
6. التسهيل لعلوم التَّنْزِيل ، لمُحَمَّد بن أَحْمَد بن جُزَي الكَلْبي الغَرْنَاطي المالِكي (ت 741هـ) تحقيق : مُحَمَّد عبد المنعم اليونسي ، وإبراهيم عطوة عوض ، مطبعة حسان ، القاهرة ، بلا تاريخ .
7. تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم المسمى بـ(تَفْسِيْر ابن كَثِير) ، لأبي الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عُمَر كَثِير القُرَشي الدِّمَشْقي ، (ت 774هـ) ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، 1401هـ .

8. تَهْذِيب اللُّغَة ، لأبي منصور مُحَمَّد بن أَحْمَد الأزهري ، (ت 370 هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد العليم البردوني ، مراجعة : علي مُحَمَّد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، مصر ، بلا تاريخ .
9. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ، (ت 1376 هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، 1425 هـ . 2004م .
10. جَامِع الْبَيَان عن تأويل آي الْقُرْآن المعروف بـ(تَفْسِيْر الطَّبَري) ، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يزَيْد بن خالد الطَّبَري ، (ت 310هـ) ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، 1405هـ .
11. الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبد الله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي ، (ت 671 هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد العليم البردوني دَار الشعب القاهرة ، ط2 ، 1372 هـ .
12. الجَوَاهِر الحِسَان فِي تَفْسِيْر الْقُرْآن ، لعبدالرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي ، (ت 608هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .
13. الدُّرّ المَنْثُور ، لعَبْد الرَّحْمَن بن الكمال جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطي ، (ت 911هـ) ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، 1993م .
14. رُوح المَعَانِي فِي تَفْسِيْر الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الثَّنَاء شِهاب الدِّين السيد محمود بن عبد الله الآلُوسي البَغْدَادي ، (1270هـ) ، دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .
15. زهرة التفاسير ، لمحمد أبي زهرة ، (ت 1394 هـ) ، دار الفكر العربي 1974م .
16. الصِّحَاح تَاج اللُّغَة وصحاح العَرَبِيّة ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، (ت 393هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد الغَفُوْر عطا ، دَار العلم للملايين ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط2 ، 1407 هـ . 1987م .

17. عناية القاضي وكِفَايَة الراضي ، حَاشِيَة الشِّهَاب الخفاجي عَلَى تَفْسِيْر البيضاوي ، لشهاب الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر الخفاجي ، (ت 1069هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1283هـ .

18. غَرِيب الْحَدِيث ، لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّمٍ الهروي ، (ت 224 هـ) ، تحقيق : د . مُحَمَّد عَبْد المعيد خان ، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ط 1 ، 1396 هـ .

19. قَوَاعِد الأَحْكَام فِي مصالح الأنام . لأبي مُحَمَّد عز الدين عَبْد الْعَزِيز بن عَبْد السلام السُّلَمِيّ ، (ت 660هـ) ، دَار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .

20. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، (ت 538 هـ) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1 ، 1418هـ . 1998م .

21. لُبَاب التَّأوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر الخازن) ، لعلاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن ، (ت 741 هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1955م

22. اللُبَابُ فِي عُلُومِ الكِتَابِ ، لأبي حفص عُمَر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، (ت 880 هـ) ، تحقيق وتعليق : عادل أَحْمَد عَبْد الموجود ، وعلي مُحَمَّد معوض ، شارك فِي تحقيقه : د . مُحَمَّد سعد رمضان حسن ، ود . مُحَمَّد المتولي الدُّسُوقي الحرب ، منشورات مُحَمَّد علي ، دَار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ، ط1 ، 1419هـ . 1998م .

23. لِسَان العَرَب ، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت 711هـ) ، دَار صادر ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط1 1968م

24. لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي ، (ت 465 هـ) ، وضع حواشيه

وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط1 ، 1420هـ . 2000م .

25. مَعَالِمِ التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر البغوي) ، لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، (ت 516هـ) ، تحقيق : خالد العك ، ومروان سوار ، دَار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، ط2 ، 1407 هـ . 1987م .
26. مُعْجَم مَقَايِيس اللُّغَة ، لأبي الْحَسَن أَحْمَد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ) تحقيق : عَبْد السلام هارون ، دَار الفكر ، بَيْرُوْت ، 1399هـ . 1979م
27. مَفَاتِيح الْغَيْب المعروف بـ(التَفْسِيْر الكَبِيْر) ، وبـ(تَفْسِيْر الرازي) ، لأبي عَبْد اللَّه فَخْرالدِّين مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِيّ الْمَذْهَب الرَّازي ، (ت 606هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1421هـ . 2000م .
28. النظام الاقتصادي في الإسلام ، لتقي الدين النبهاني ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط6 ، 1425هـ . 2004م .